

روح المعاني

فطرتهم لكن مسهم الشيطان ففسدت عليهم فطرتهم الأصلية فاقتضوا أشياء منافية لهم مضادة لجواهرهم البهي الإلهي من الهيئات الظلمانية ونسوا أنفسهم وما جلبوا عليه ولولا المزعجات من الليالي لما ترك القطا طيب المنام ولذا احتاجوا إلى رسل يبلغونهم آيات الله تعالى ويسنون لهم ما يذكركم عهد ذواتهم من نحو الصلاة والصيام والزكاة وصلة الأرحام ليعودوا إلى فطرتهم الأصلية ومقتضى ذاتهم البهية ويعتدل مزاجهم ويتقوم اعوجاجهم ولذا قيل : الأنبياء أطباء وهم أعرف بالداء والدواء ثم إن ذلك المرض الذي عرض لذواتهم والحالة المنافسة التي قامت بهم لولا أن وجدوا من ذواتهم قبولاً لعروضهما لهم ورخصة في لحوقهما بهم لم يكونا يعرضان ولا يلحقان فإذا كان ما تقتضيه ذواتهم أن تلحقهم أمور منافية مضادة لجواهرهم فإذا لحقتهم تلك الأمور اجتمعت فيها جهتان الملاءمة والمنافاة أما كونها ملائمة فلكون ذواتهم قضتها وأما كونها منافية فلأنها اقتضتها على أن تكون منافية لهم فلو لم تكن منافية لم يكن ما فرض مقتضى لها بل أمراً آخر وانظر إلى طبيعة التي تقتضي ببوسة حافظة لأي شكل كان حتى صارت ممسكة للشكل القسري المنافي لكرويتها الطبيعية ومنعت عن العود إليها فعروض ذلك الشكل للأرضية لكونها مقصورة من وجه ومطبوعة من وجه فالإنسان عند عروض مثل هذا المنافي ملتذ متألم سعيد شقي ملتذ ولكن لذته ألمه سعيد ولكن سعاداته شقاوته وهذا لعمرك أمر عجيب لكنه أوضح بنمط غريب ومن تأمل وأنصف ظهر له أنه لا ملخص لكثير من الشبهات في هذا الفصل إلا بالذهاب إلى القول بالاستعداد الأزلي وأن لكل شيء حالة في نفسه مع قطع النظر عن سائر الاعتبارات لا يفاض عليه إلا هي لئلا يلزم انقلاب العلم جهلاً وهو من أعظم المستحيلات والإثابة والتعذيب تابعان لذلك فسبحان الحكيم المالك فتثبت فكم قد زلت في هذا المقام أقدام أعلام كالأعلام نسأل الله تعالى أن ينور أفهامنا ويثبت أقدامنا ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

ثم أعلم أنه روي عن أبي بكر الصديق رضي الله تعالى عنه أنه قال : لم أر في القرآن أرجى من هذه الآية لا يشاكل بالعبد إلا العصيان ولا يشاكل بالرب إلا الغفران قال ذلك حين تذاكروا القرآن فقال عمر : لم أر آية أرجى من التي فيها غافر الذنب وقابل التوب قدم الغفران قبل قبول التوبة وقال عثمان : لم أر آية أرجى من نبيء عبادي أني أنا الغفور الرحيم . وقال علي كرم الله تعالى وجهه : لم أر أرجى من يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم وقيل في الأرجى غير ذلك وسيمر عليك إن شاء الله تعالى لكن ما قاله الصديق لا يتأتى إلا على تقدير أن يراد كل أحد مطلقاً يعمل على شاكلته فافهم .

ويسألونك عن الروح الظاهر عند المنصف أن السؤال كان عن حقيقة الروح الذي هو مدار
البدن الانساني ومبدأ حياته لأن ذلك من أدق الأمور التي لا يسع أحدا إنكارها ويشرب كل إلى
معرفتها وتتوفر ذواعي العقلاء إليها وتكل الأذهان عنها ولا تكاد تعلم إلا بوحى وزعم ابن
القيم أن المسؤول عنه الروح